المملكة العربية السعودية





جامعة الملك سعود

الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية

اللقاء السنوي الخامس

التأصيل الإسلامي للتربية وعلم النفس

في الفترة من ١٢ - ١٥/١١/١٤١٣ هـ



الرقم التسلسلي ٢٠

بحث بعنوان : أهم مقومات الإنسان في القرآن والسنة

اسم الباحث : الدكتور محمود أحمد شـــوق

بسم الله الرحمن الرحيم

بحـــث

أهم مقومات الإنسان فى القــرآن والســـنة

للدكتـــور

محمود أحمد شـــوق

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عضو لجنة التاصيل الإسلامي للعلوم بمركز البحوث بالجامعة

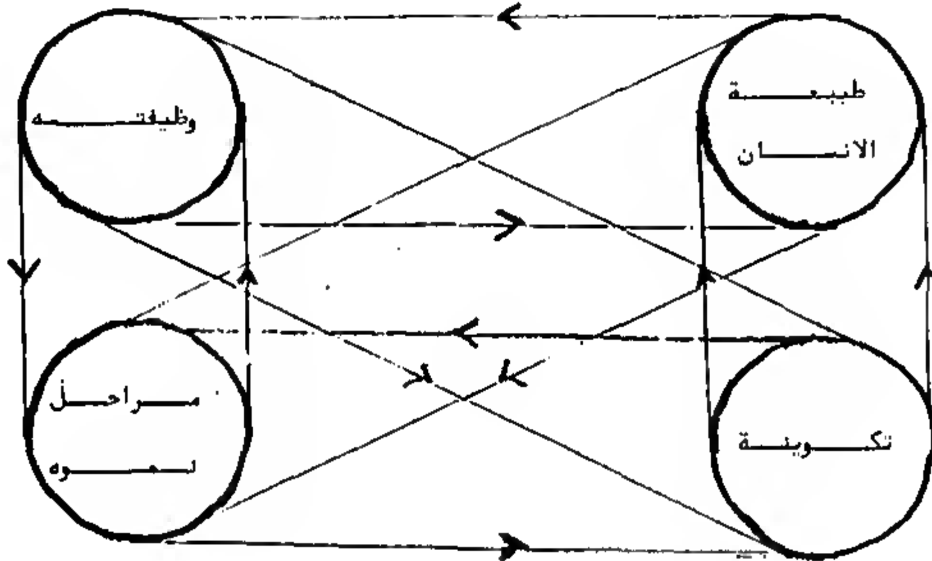
مقـــدم إلى ندوة :

التأصيل الإسلامي للتربية وعلم النفس

التى تنظمها الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية .
فى الفترة من ١٢ - ١٥ /١١/ ١٤١٣هـ

أهم مقومات الإنسان فى الاســــــلام

لقدخلق اللهتبارك وتعالى الانسان وأودع فيه مقومات معينة تتكامل فيما بينها لتحقق له السيادة علـــــى بقية المخلوقات ، وتساعده على أداء وظيفته التى كلفه الله بها فى الحياة وفق منهج الله • وكما يتضح مـــن شكل (١) فان طبيعة الانسان وتكوينه ومراحل نموه تؤثر فى بعضها البعض كما تؤثر جميعها فى وظيفة الانســان فى الحياة • فى هذا الفصل ، نعالج كلا من طبيعة الانسان وجوانب تكوينه وظيفته ومراحل نموه علي النحـــو التـالي :



الشكل (١) أهم مقومات شخصيـة الانســــان •

أولا : أهم جوانب طبيعة الانسان •

ثانيا : أهم جوانب شخصية الانسان •

ثالثا : وظيفة الانسان فى الحياة •

رابعا : أهم مراحل نمو الانســان .

أولا : أهم جوانب طبيعة الانسان .

من أهم جوانب طبيعة الانسان ما يلي :

أ ـ خلق الله الانسان من تراب :

أول جانب من جوانب طبيعة الانسان أن الله سبحانه وتعالى قد خلقه من تراب . فقد خلق الله الناس جميعا امبرهم وحقيرهم ، وغنيهم وفقيرهم ، وأسودهم وأبيضهم ، وطويلهم وقصيرهم وقويهم وضعيفهم ، وذكرهم وأنثاهم ، من تراب .

قال تعالى : هو الذي خلقكم من تراب . (غافر : ٦٧).

وقال تعالى : ياأيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب . (الحج : ٥).

وقال تعالى : ومن آياته أن خلقكم من تراب ، ثم اذا أنتم بشر تنتشرون . (الروم : ٢٠).

وأطوار خلق هؤلاء جميعا واحدة ، لاتبديل فيها ولا اختلاف .

قال تعالى : ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين،ثم جعلناه نطفة في قرار مكين،ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . (المؤمنون : ١٢ ـ ١٤).

وقال تعالى : والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا . (فاطر : ١١).

وقال تعالى : هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة . (غافر : ٦٧).

ب ـ فطر الله الانسان على التوحيد .

الجانب الثاني من جوانب طبيعة الانسان أن الانسان مفطور على التوحيد ، فالانسان مفطور بطبيعته التي خلقه الله عليها على التوحيد ، وهو بفطرته يؤمن بالله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي ليس له كفوا أحد .

قال تعالى : قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذي فطرنا . (طه : ٧٢).

وقال تعالى : ياقوم لا أسألكم عليه أجرا ، ان أجري الا على الذي فطرني . (هود : ٥١).

وقال تعالى : ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون . (يس : ٢٢).

وقال تعالى : الا الذي فطرني فانه سيهدين . (الزخرف : ٢٧).

عن أبي هريره رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" مامن مولود الا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء " ثم يقول أبو هريرة : فطرة الله التي فطر الناس عليها . (متفق عليه).

ويمكن فهم الفطرة على أنها حالة من السلامة والخير الحنيفيه التى إذا ما تركت وشأنها فإنها تصل بصاحبها الى معرفة الحق تبارك وتعالى ، والوقوف على وحدانيته ومن ثم إفراده بالعباده ، كما تقود صاحبها إلى كل ماجاء به الدين الحنيف ٠٠٠٠ ، ويأتى الدين الحنيف ليثبتها ويقويها ويوصلها إلى غاياتها الخيرة التى أودعها الخالق تبارك وتعالى فيها ٠ (١)

وعقيدة التوحيد التى أساسها العبودية الخالصه لله وحده ، هى الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، نجد هذا فى قول الحق تبارك وتعالى :

فأقم وجهك للدين حنيفا ،فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لايعلمون ٠ (الروم : ٣٠) ٠

ويوضح محمد شديد أن الفطرة حاجة أساسية من حاجات الإنسان لايمكن أن تتوازن شخصية الإنسان إلا بالوفاء بمتطلباتها ٠ وذلك فى قوله : (٢)

العقيدة فى الله ليست ترفا فى التفكير ، ولا نافله للنفس ، ولا حاشية على هامش الحياة ، ولا مظهرا من مظاهر الخوف أو الضعف ،إنما هى فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وحاجة ملحة للنفس والروح ٠ فاذا تُركت ولدت فراغا فى النفس لايملأ ، وجوعة فى الروح لا تسد وخرابا فى الضمير لا يعمر ٠

جـ- الإنسان لديه استعداد لكل من الخير والشر :

الجانب الثالث من جوانب طبيعة الإنسان أن لديه استعدادا للخير والشر ، لقد وردت آيات كثيرة عن صفات الخير فيه وعن قدرته على فعل الخير فى مواضع كثيرة من الذكر الحكيم ٠

قال الحق تبارك وتعالى :

وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا ٠ (المزمل : ٢٠) ٠

وقوله تعالى :

عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ٠ (التحريم : ٥) ٠

وقوله تعالى :

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ٠ (الحجرات : ١١)

وقوله تعالى :

فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا ٠ (النور : ٣٣) ٠

---

(١) محمد قطب ،منهج التربية الاسلامية ط ١ جده : تهامه للنشر ١٤٠٣هـ ص (٤٠)

(٢) محمد شديد ،منهج القرآن فى التربية بيروت : مؤسسة الرسالة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م ص ٧٠

وقوله تعالى :

ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم . (الأنفال : ٢٣).

وقوله تعالى :

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، أولئك هم خير البرية . (البينة : ٧).

وقوله تعالى :

ان خير من استأجرت القوى الأمين . (القصص : ٢٦).

ورغم ان الإنسان مغطور على التوحيد ولديه استعداد للخير ، فان لديه استعدادا لفعل الشر أيضا ، وقد بين الحق تبارك وتعالى هذا فى الذكر الحكيم فى مواضع كثيرة فى مثل قوله تعالى :

ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير ، وكان الانسان عجولا . (الاسراء : ١١).

وقوله تعالى :

و نبلونكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون . (الأنبياء : ٤٩).

وقوله تعالى :

إن الانسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا . (المعارج : (١٩ ــ ٢١)

وقوله تعالى :

ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . (الزلزله : ٨).

وقوله تعالى :

فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية . (البينة : ٦).

د ـ الانسان مكرم عند الله .

الجانب الرابع من جوانب طبيعة الإنسان أن الله سبحانه وتعالى قد كرمه على سائر المخلوقات وخلقه فى أحسن تقويم .

قال تعالى :

ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا .

(الاسراء : ٧٠).

وقال تعالى :

لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم . (التين : ٤).

ومن دلائل تكريم الله للانسان أن جعل الملائكة تسجد له :

قال تعالى :

إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ٠

(ص : ٧١ ، ٧٢)٠

ومن دلائل تكريم الله للانسان أن خصه باللسان والبيان٠

قال تعالى :

الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين٠ (البلد : ٨ ـ ١٠)٠

وقال تعالى :

خلق الإنسان علمه البيان ٠ (الرحمن : ٣ ، ٤)٠

ومن دلائل تكريم الله للإنسان أن استخلفه في الأرض استخلافا عاما يشمل الأرض كلها ، بما فيها من أحياء، وجوامد على سطحها وما في بطنها٠

قال تعالى :

ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون (الأعراف : ١٢٩)٠

وقال تعالى :

وإذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفه ٠ (البقرة : ٣٠)٠

وقال تعالى :

وانفقو مما جعلكم مستخلفين فيه ٠ (الحديد : ٧)٠

وقال تعالى :

ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم ٠ (يونس : ١٤)٠

وقال تعالى :

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ٠

(النور : ٥٥)٠

وقال تعالى :

هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ، فمن كفر فعليه كفره ٠ (فاطر : ٣٩)٠

ومن دلائل تكريم الله للانسان أن سخر له جميع مافى الأرض وما فى السماوات فلقد سخر الله للإنسان جميع مخلوقاته ٠٠ فالشمس والقمر والنجوم والنبات والطير والحيوان والجماد جميعها مسخرة لخدمة الإنسان بل إن دورة الحياة فى الكون وتكامل عناصرها ، مع اختلاف هذه العناصر نظمها الله فى نسق يساعد على تسخيرها للإنسان ٠ فعلى الماء تتوقف الحياة كلها ٠ وعلى النبات تتوقف حياة الحيوان والطير وعلى الحيوان والنبات

والطير تتوقف حيـــاة الانســـــان ٠

قال تعالى :

وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منـه ٠ (الجاثية : ١٣)٠

وقال تعالى :

هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشــوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشـور ٠ (الملك : ١٥)٠

وقال تعالى :

وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكـلون ٠ (يـس : ٧٢)٠

وقال تعالى :

وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبســونها وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغـوا من فضلـه ، ولعلكم تشــكرون٠ (النحل : ١٤)٠

وقال تعالى :

وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وءاتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة اللـه لا تحصوها ، ان الانســان لظـلوم كفّـــار ٠ (ابراهيم : ٣٣ ـ ٣٤)٠

وقال تعالى :

هو الذى أنزل من السماء ماء ، لكم منه شراب ، ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيـــل والأعناب ، ومن كل الثمرات ،إن فى ذلك لأية لقوم يتفكرون ، وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجـــوم مسخرات بأمره ، إن فى ذلك لأيآت لقوم يعقلون ،وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ،إن فى ذلك لأية لقـــوم يذكـرون ، وهو الذى سخـر البحر لتأكلـوا منه لحما طريا وتستخـرجوا منه حلية تلبســونها وترى الفلك مواخر فيـه ولتبتغـوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ، وعلامـات وبالنجم هم يهـــتدون ٠ (النحـل : ١٠ ـ ١٦)٠

هـ ــ وخلقه من جنسين فقط وجعل حياتة الدنيا موقوته

الجانب الخامس لطبيعة الانسان هو أن حياته موقوته وأنه من جنسـين، وحتى لا يقود الاســـــتخلاف والتسخير الى حالة من الرغبة فى الدنيا والسعى من أجـلها والغفلـة عن الآخـرة ، فإن مشـيئة الله جعلت هذا كله لأجـل مســمى بالنســبة للانســان٠

قال تعالى :

ولكم فى الأرض مســـتـقـر ومتـــاع إلى حيـــن ٠ (البقرة : ٣٦)٠

وقال تعالى :

يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ٠ (هود : ٣) ٠

وقال تعالى :

هو الذى خلقلكم من طين ثم قضى أجلا ، وأجل مسمى عنده ٠ (الأنعام : ٢) ٠

وقال تعالى :

كل من عليها فان ٠ (الرحمن : ٢٦) ٠

والإنسان الذى خلقه الله وكرمه ، وميزه على سائر مخلوقاته ، الإنسان الذى علمه الأسماء كلها واستخلفه فى الأرض ، الإنسان الذى أقامه على قدمين ووهبه البيان هو الانسان من الجنسين : الإنسان الذكروالإنسان الأنثى ٠ خلقهما الله من نفس واحدة ٠

قال تعالى :

يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ٠ (النساء : ١) ٠

وجعل المؤمنين والمؤمنات أولياء بعض وكلفهما معا بالطاعة ووعدهما بالرحمة :

قال تعالى :

والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ٠ (التوبة : ٧١) ٠

قال تعالى :

إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ٠ (الأحزاب : ٣٥) ٠

وهكذا نرى أن الإسلام قد جعل من الرجل والمرأة عنصرين كلاهما مكلف ، كلاهما مأجور على عمله الصالح كلاهما عضو نشيط فى الحياة ، يسعى طاعة لربه ٠ وهنا يتفرد الإسلام فى أنه الذى يقرر حقوق كل من الرجل والمرأة ، وليس فردا أو جماعة.وبذلك يكون العدل قائما بالقسط بينهما ، ولايكون هناك مجال للهوى أو التحيز ٠

و ــ الإنسان مخير فيما يمكنه الاختيار فيه ، ومسئول عن اختياره ٠

والجانب السادس من جوانب طبيعة الإنسان أنه مخير فيما يقع فى حدود قدرته ، ومسئول عن اختياره فلقد خلق الله تبارك وتعالى الإنسان ، وميزه عن جميع خلقه بالعقل ، وبنعمة العقل سخر له جميع المخلوقات

الأخرى من الحيوان والنبات والجماد.

ولاشك أن العقل هو مناط التكليف ، والمقياس الذي يميز به الإنسان بين مختلف الأمور التي تعرض له في حياته . وبهذا العقل أصبح الإنسان مؤهلا لاستقبال الرسالات وأصبح مسؤولا عن قراره بالنسبة لهذه الرسالات . لذلك ، قال الحق تبارك وتعالى :

وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . (الاسراء : ١٥) .

فالرسول يبين طريق الهدى ويرشد إليه ، ويبين طريق الكفر وينهى عنه ، وما من رسول نبي إلا وجاء بمنهج واجتهد في بلاغه ، وما من منهج إلاوأوضح لمستقبلي الرسالة من الناس ماذا "يفعلون" وماذا " لايفعلون" .
وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى :

وهديناه النجدين . (البلد : ١٠) .

وقد ورد في تفسير هذه الآيه في " مختصر تفسير ابن كثير ، أن ابن مسعود قال : الخير والشر ، كما ورد عن أبي رجاء قال : سمعت الحسن يقول في تفسير ، وهديناه النجدين ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : يأيها الناس إنهما النجدان : نجد الخير ، ونجد الشر ، فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير " . وفي " صفوة التفاسير " ، نجد تفسير هذه الآيه على النحو التالي :

أي وبناله طريقا الخير والشر ، والهدى والضلال ليسلك طريق السعادة ويتجنب طريق الشقاوة .

وهكذا يتضح أن الإنسان مؤهل للاختيار بين طريقي الخير والشر بدليل أن خالقه العالم بما أودع فيه من قدرات ، قد أعطاه فرصة هذا الاختيار بما أهله به لذلك ، ليس هذا فحسب ، ولكنه سوف يحاسبه على هذا الاختيار . وعدل الخالق ، سبحانه وتعالى ، لايمكن أن يقضي بمحاسبة الإنسان على فعل ليس مسئولا عنه ، بدليل أنه رفع التكليف عن الصغير حتى يبلغ والمجنون حتى يفيق .

مما سبق نستطيع أن نستنتج أن الاختيار بالنسبة للإنسان يقتضي توافر شروط منها :

أن يكون الانسان ذا عقل ناضج ، وأن يكون أمامه بدائل يختار من بينها ، وأن يكون الموقف مهيأ لتنفيذ قرار الاختيار بعد اتخاذه :

وفي ذلك يقول الشيخ الشعراوي :

" ... اذن ، ففي المنطقة التي يُعرض فيها الفعل على العقل ، يفعل أو لايفعل ، فتلك هي المنطقة التي يوجد فيها الاختيار ، وهي منطقة التكليف من الله ".[1]

---

١ ـ محمد متولي الشعراوي، هذا هو الاسلام، القاهرة : دار الحرية للطباعة والنشر، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٨٧م. ص. (٢١٣) .

ويضيف قوله :

" اذن ، فربط التكليف بالعقل وجودا ونضجا يدل على أن مهمة التكليف هى فى الأمر الاختيارى الذى يجد الإنسان فيه بديلان : " يفعل " أو " لايفعل " ٠ (١)

فالإنسان بما وهبه الله من قدرة على التفكير ، وقنوات للاتصال بالعالم من حوله وبصيرة ينفذ بها الى كبد الحقيقة ، يستطيع أن يختار من بين الخير والشر ، ومن بين أن يفعل أيهما فى وقت ما أو مكان ما أو لايفعل. فمثلا ، يختار من بين انواع الطعام والشراب واللباس ، ويختار من مساقات التعليم وأنواعه ، ومن بين الوظائف ، ومن بين النساء زوجة ، ومن بين الرجال صديقا ، ومن بين المساكن سكنا ٠

وهناك أمور أخرى لاخيرة للإنسان فيها ، فهو بالنسبة لها مسير ٠ فالإنسان لايستطيع أن يختار تاريخ ولادته أو وفاته ، ولا أن يختار المثول لعذاب القبر أو أن يتجاوزه ، ولا أن يدخل الجنة وهو يعمل عمل أهل النار ، ولا أن يختار لنفسه درجة للحرارة معينة ، ولاعددا معينا لضربات قلبه ، ولا لون بشرة بذاته أو طولا بذاته ٠ ولا يستطيع أن يغير من عدد آذانه أو عيونه أو أنوفه أو السنته ٠ كما أنه لايستطيع أن يختار أمه أوأباه أو أخاه أو أخته ولا بقية أصلا به أو أرحامه ٠

فهذه الأمور جميعها لا سبيل للإنسان أن يختار فيها ٠ فمنها ما هو فوق قدرة الإنسان مثل عذاب القبر وتاريخ الوفاة ، ومنا ما هو من الانساق الحيوية التى خلقها الله فى توازن وتكامل يسهم فى استمرار الحياة ومن ثم أخرجها عن نطاق اختياره ، بل إن تدخل الإنسان فيها يكون بهدف تثبيتها على النسق الذى خلقها الله عليه ، مثل درجة الحرارة ودقات القلب وعمل كل من الجهاز الهضمى والجهاز العصبى وبقية أجهزة جسم الإنسان ، ومثل اللون والحواس ، ومنها ما لا تستقر حياة الفرد والمجتمع الا باستقراره مثل اختيار الأصلاب والأرحام ٠

ولكن توجد مجالات لاختيار الإنسان تتعلق بما هو مسير فيه ٠ فمثلا ، إن كان الانسان لا خيار له بالنسبة لفترة حياته فهو مخير فى أن يعمل خيرا أو شرا فيها وهو مسئول عن عمره فيما أفناه ٠ وإن كان الإنسان لاخيار له بالنسبة لعدد عينيه أو أذنيه وأنفه ولسانه فإن له خيارا فى استخدامها فى الخير أو الشر ، وإن لم يكن له خيار فى لون جسمه أو حجمه فإنه مخير فى أن يرضى بما هو عليه أو يقنط ، وهو إن لم يكن له خيار فى أصلابه وأرحامه فإنه مخير فى أن يصلهم أو يقطعهم ٠ وهذه مجرد أمثلة توضح أنه فيما يتعلق بالأمور التى يسيَّر فيها الإنسان توجد مواقف له فيها الخيرة لأنه يستطيع أن يقرر فى حدود قدرته العقلية أن يختار بشأنها بين فعل أو آخر ٠

---

١ ـ محمد متولى الشعرواى ، المرجع السابق ٠

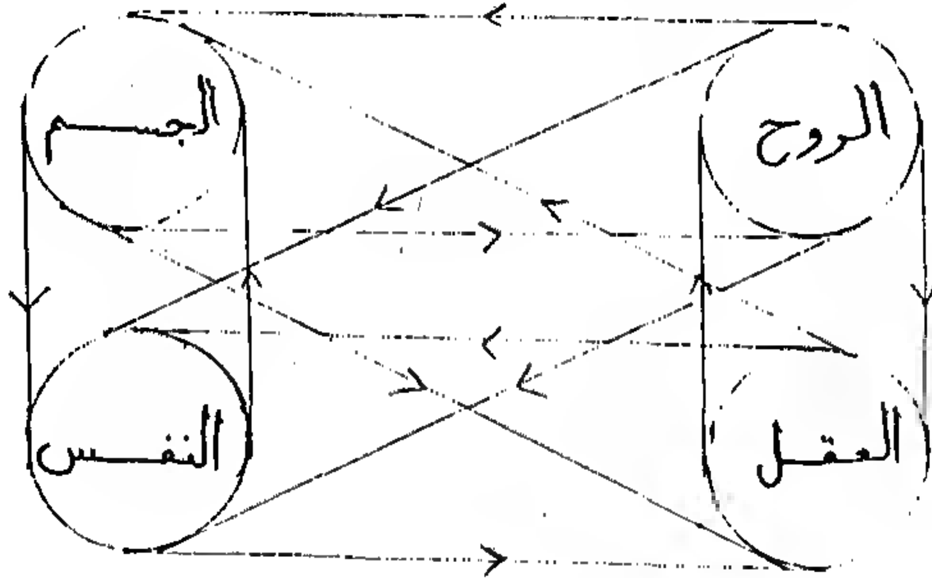
مما سبق نستطيع أن نستنتج أن الإنسان مخير فيما هو مؤهل لاتخاذ قرار راشد بشأنه، ومسير فيما لا علم له به ولا قدرة له عليه ، وليس في صالحة ولا صالح الأمة أن يقدر عليه ، بل إن ترك تسييره لمبدع الكون وخالقه هو الأصلح للفرد وللأمة .

ثانيا : أهم جوانب شخصـــية الانســــــان .

من أهم مكونات شخصية الانسان من وجهة نظـر الاسلام الروح والجسم والعقل والنفس . وتمثل الــــروح جوهر صلة الإنسان السوية بخالقه . ولا يعلم كنهــها إلا خالقها سبحانه وتعالى .

ويمثل العقل مركز التغذية الفكرية والمعرفية ومنطلق الإنسان للكشف عن كوامن الكون،وتمثل النفـــــس المجال الوجدانـي في الإنســان ويختلف توجه الوجدان من فرد لآخــر ، ويمثل الجسم مركز الحركة والطاقـة ويحوى قنوات الاتصال بالعالم الخارجـــي .

ولايمكن النظر الى هذه المكونات كل في معزل عن الآخـر فهي متفاعلة مع بعضها البعض يؤثر كل منهـا في الآخر ويتأثـر بــه ، كما يتضح من شـــــكل (٢) .



شكـــل (٢) أهــم مكونات الانســــان .

واذا استعرضنا آراء بعض الكاتبين المسلمين في تكوين الإنسان ، نجد الأستاذ المبارك يرى أن الانســان يتكون من ثلاثة عناصر هي الجســم والعقــل والروح ، فيقــول :

الانسان الكامل هو من نمت فيه العناصر الثلاثه مع ترتيبها في الأهمية ، فالروح أعلى من العقل ، والعقل أعلى من الجســــم . لذلك ، فالجســـم خـــادم للعقـــل ، والعقل خــــادم للـــروح ، فالــــروح هي التي تـــؤمـــن الأخـــــلاق والصـــــلة بالله،والعقــــل هو الــــذي يــــؤمـــن صلتنــا بالأشــــياء ، فهذا ضـــار وهــــذا ســــام ، .... الــــخ . وهــــذا لايكــفـي لأنـــك قـــــد

تستعمل السلام لنفسك ولغيرك ، أما الروح وهذه الصلة الربانية فهى التى تمنعك ٠ (١)

ومن دراستنا لوظائف الأعضاء نجد أن العقل هو الذى يترجم الاشارات من الحواس ، وهى من المكونات الجسمية ، إلى أفعال ٠ وقد يكون نزوع الأفعال إلى الخير أو الشر طبقا لتوجيه النفس التى ألهمها الله سبحانه وتعالى فجورها وتقواها ٠

قال تعالى :

ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ٠ (الشمس : ٧ ، ٨) ٠

ويوضح لنا القرآن الكريم أن النفس المطمئنة هى التى ترجع إلى ربها راضية مرضية ٠

فقال تعالى :

يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ٠

(الفجر : ٢٧ ـ ٣٠) ٠

كما يبين لنا أن النفس قد تنزع إلى الشر ، ذلك فى قوله تعالى :

وما أبرىء نفسى ، ان النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ٠ (يوسف : ٥٣) ٠

وفيما يلى نوضح وجهة نظرنا بالنسبة لمكونات الانسان : الجسم والعقل والنفس والروح ٠

أ ـ الجسم :

ولاينظر الإسلام إلى جسم الإنسان على أنه فقط مجموعة نامية من الخلايا ، وأنها تحتاج إلى غذاء لتنمو وتصح ، ومن ثم فإن الواجبات التربوية تجاه التربية الجسمية تنحصر فى العمل على اكتساب السلوك الصحيح فى المأكل والمشرب والملبس ، واكتساب الوعى الصحى والاهتمام بالحواس وبممارسة الرياضة البدنية ، والعناية بالاعضاء والاهتمام بوظائفها ٠

ولكن بالاضافة إلى كل ماسبق فان الجسم من وجهة نظر الاسلام يحوى أشياء اخرى مثل الطاقات التى يوظفها الإنسان فى حركته وفى التعبير عن انفعالاته وعن مختلف مشاعره وأحاسيسه ٠ يقول محمد قطب :

ليس المقصود بالجسم فى مجال التربية هنا هو عضلاته وحواسه ووشائجه فحسب ، وإنما نقصد كذلك الطاقة الحيوية المنبثقة من الجسم والمتمثلة فى مشاعر النفس ، طاقة الدوافع الفطرية والنزوعات والانفعالات ٠٠٠٠٠ طاقة الحياة الحسية على أوسع نطاق ٠ (٢)

---

١ ـ الندوة العالمية للشباب الاسلامى ، الاسلام والحضارة ودور الشباب المسلم ، المجلد الأول الطبعة الثانية ، الرياض : الندوة العالمية للشباب الاسلامى ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، ص : ٢٦٢ ٠

٢ ـ محمد قطب ، مناهج التربية الاسلامية ، ص : ١٢٦ ٠

ولم يخلق الله الجسم ليكون مجرد وعاء تجمع فيه المكونات الحيوية للإنسان أو مخزنا للطاقة ، ولكن الله سبحانه وتعالى حيث خلق الجسم بهذه الصورة إنما جعله فى أحسن تقويم تكريما له .

قال تعالى :

لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم . (التين : ٤).

وقال تعالى :

وصوركم فاحسن صوركم . (غافر : ٦٤).

أقام الإنسان على قدمين ، وجعل لديه وظائف كثيرة وميز كل إنسان ببنانه ، ووهبه بيانا بلسانه فاستطاع به أن يفتح آفاقا رحيبة للاتصال مع غيره من البشر وهنا تميز للإنسان عن سائر المخلوقات ، وفى هذا يقول الكتاب المبارك : " إذ يميز الله بهاتين الخاصيتين، الأولى ، انتصاب القامة وانطلاق اليدين ، والثانية اللسان والبيان وتتبعه الكتابة " . (١)

ويوجه الإسلام المسلم إلى العناية ببدنه ، واتخاذ الأسباب التى تحافظ عليه قويا قادرا على أداء مهامه فى الحياة والسير فى مناكب الأرض ليعمرها ، والسعي بين الناس بالاصلاح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والسعى لتوفير أسباب الحياة له ولمجتمعه . يؤكد الإسلام هذا إلى درجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف فى قوله : " المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير " . (صحيح مسلم).

وقد حث الإسلام على نظافة الثوب والبدن ، فوجه كتاب الله المسلمين إلى أن يأخذو زينتهم عند الذهاب إلى المساجد .

قال تعالى :

يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ... . (الأعراف : ٣١).

وقال صلى الله عليه وسلم :

" اغتسلوا يوم الجمعه ، واغسلوا رؤسكم وان تكونوا جنبا فاطهروا، وأصيبوا من الطيب " . (رواه البخارى)

وقال : " من كان له شعر فليكرمه " .

وقال :

" خمس من الفطرة : الختان ، وحلق العانة ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظافر وقص الشارب " .

(رواه البخارى)

---

١ ـ الندوة العالمية للشباب الاسلامى ، الاسلام والحضارة ودور الشباب المسلم ، ص ٢٦١

وهذا أمر صريح بالمحافظة على النظافة،فلكي يصلي المسلم لابد وأن يكون متطهرا . والتطهر يتم بغسل الجسم كلّه ، كما ينبغي أن تكون الثياب أيضا طاهرة ، وأن يتوضأ بغسل وجهه ويديه الى المرفقين ويمسح على رأسه وقدميه وهذا يتم خمس مرات ، على الأقل ، في اليوم.

كما وجه رسول الإسلام المسلمين أن ينظفوا أسنانهم قبل كل صلاة مفروضة أو نافلة وقبل النوم وفور الوصول الى المنزل ، وقبل التحدث إلى الناس .

قال صلى الله عليه وسلم :

لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة . (رواه البخارى).

ولقد عنيت التربية الاسلامية بالتغذية الصحيحة في اعتدال ، قال الله تبارك وتعالى :

وكلوا واشربوا ولاتسرفوا ، إنه لايحب المسرفين . (الأعراف : ٣١).

وقال الرسول الكريم :

ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه . (رواه احمد والترمذى)

وكما عنيت التربية الاسلامية بنمو الجسم فقد عنيت بوقايته من الأمراض . فنجد الاسلام قد حرّم المأكولات الضارة تحريما صريحا . جاء في محكم التنزيل :

حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب .... (المائدة : ٣).

وتأسيا للمحافظة على سلامة الإنسان ووقايته على وجه الخصوص ، وعلى صحة البيئة ، ووقايتها على وجه العموم ، يأمرنا الإسلام بقتل الهوام فيما روت عائشة رضى الله عنها ، في قولها :

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل خمس فواسق في الحل والحرم : الفأرة والعقرب والغراب والحدأة والكلب العقور . (صحيح البخارى).

كماقال عليه السلام :

إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها .

(صحيح البخارى)

وقال أيضا :

إماطة الأذى عن الطريق صدقة . (صحيح البخارى)

ومما هو سبق للإسلام في وقاية الإنسان من الأمراض تحريمه للشذوذ الجنسي وذلك في قوله تعالى عن قوم

لـــــوط :

ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشــة ماسبقكم بها من أحــد من العالميـــن ، إنكم لتأتــون الرجال شـهـوة مـــن دون النســـاء ، بل أنتم قوم مســـــرفون . (الاعراف : ٨٠ ــ ٨١) .

وفي القرن الخامس عشر من نزول القرآن يوفق الله سبحانه وتعالى الإنسان في الكشف عن بعض حكمــــة هــذا التحريم فيكتشـف الإنسان أن الشـذوذ الجنسي من أسـباب مرض فقدان المناعة الذي يعرف (بالايدز) .

ووقاية للمرأة والرجل على السواء يوجه الإسلام المسلمين إلى أجتناب النساء في أثناء المحيض ، وذلك لأن المحيض فيه أذى لكل منهما ، فتكون المرأة منهكة خائرة القوى مفتحة الأعضاء ، كما يجعل دم الحيض عمليـــــة الاقتراب ذات أثـر نفسـي سـيء على كلا الطرفيـن ، إضافة الى ماقد يسـببه دم الحيض للرجل من ضرر . قال تعالى :

ويســألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولاتقربوهن حتى يطهرن .... .

(البقرة : ٢٢٢) .

وكما حثت التربية الاسلامية على الأخذ بأسـباب الوقاية من الأمراض فإنها قد حثت أيضا على ضـــرورة الأخذ بأسـباب العلاج في حال المرض . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عـليه وسلم : ماأنزل الله داء إلا أنزل لـه شـــفاء . (صحيح البخاري) .

وهكذا نجد التربية الاسلامية عنيت عناية فائقة بالنمو الجسمي للإنســـان .

كما عنيت بوقايته من الأضـرار عن طريق التغذية الســليمة ، والعناية بنظافته ووقايته من الأضـــرار وطلب العلاج مما يصيبه من أمراض ، والمحافظة على نظافة البيئـة ووقايتـها من مســببات الأمراض والأضرار .

ب ـ العقــل :

أما العقل في التربية الإسلامية ، فإنه ركيزة الاستخلاف . فما كان الله ليستخلف الإنسان في الكـــون إلا بعد أن كرمه على سائر المخلوقات بنعمة العقل ، وما كان ليسخــر له كافة المخلوقات الأخرى مالم يزوده بقـــوة التفكير والتدبر التي بها يسوس هذه المخلوقات ، وما كان الله ليرسل الرسل إلى الناس مالم يزودهم بما يميـزون به بين الحق والباطل ، وما كان الله ليكلف الإنسان بعمارة الأرض مالم يودع فيه طاقات فكرية تسـتثمر فـــي عمارتها ، وفي عبادته .

وقد أشار محمد قطب إلى وظيفة عقل الانسان بقوله عن الانسان : " العقل وسيلته إلى الله وإلى معرفــة الحق ، هي تدبر الظاهر للحس المدرك بالعقل . ومن ثم يحـــدد الإســلام مجاله بهـــذا النطاق ، فيتخــذ

لذلك وسيلتين : الأولى هي وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي ، والثاني هو تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط " . (١)

ويقول : عبدالرحمن عميره : " يهتم دستور المسلمين الخالد بتربية العقل الإنساني تربية تتفق مع الفطرة التي فطر الناس عليها ويحوطه بسياج من العناية والرعاية الخاصتين " . ويضيف :" ويفعل الإسلام ذلك لأن العقل مناط التكليف وعليه المعول في فهم الشريعة وتطبيقها ، واذا ما أختل العقل سقطت التكاليف عن صاحبه جملة " . (٢)

وتفكير الإنسان في خلق الله يقود بالضرورة إلى الاعتقاد في خالقه ، وبقدر ما يستطيع الإنسان أن يكشف من أسرار نواميس الكون وما أودع الخالق فيه من سنن يتضح له عظمة الخالق وإبداع المبدع ، فمجموعات الكواكب التي تسير في نسق بديع ، كل في فلكها لا تحيد عنه ولا تتقدم ولا تتأخر ، وهذه الأجهزة المتعددة الوظائف المتناغمة الأداء في جسم الإنسان ، وهذه المكونات الدقيقة للمركبات المادية من جزيء إلى ذرة إلى نواة إلى .... ، لابد لها من نسق لم يستطع العقل البشري الكشف عنه بعد . هذه الأنساق تدل على أن لهذا الكون خالقا بادئا له ، ومنسقا لحركته . خالق عظيم واحد أحد ، وهذا هو جوهر التوجيه القرآني للانسان نحو التفكير في الكون .

ويعبر محمد المبارك عن تفرد هذا التوجيه بقوله :

ولكن التوجيه القرآني إلى الكون لا يقف ، بل يستمر التفكير حتى يصل إلى خالق هذا الكون فتنسجم حينئذ النظرة العلمية إلى الكون مع النظرة الإيمانية إلى الله ، وينسجم حينئذ العلم المادي الطبيعي في استخراج سنن الكون مع الإيمان بالله خالق الكون وسننه " . (٣)

ولذلك ، لم يكن هناك أي تعارض بين ما يسمى علم ، وما يسمى إيمان في الاسلام .

ويقول محمد شديد :

وحين ينفتح القلب على بعض حقائق الوجود يحس أنه أمام تناسق مطلق وجمال معجز وتدبير محير وقد وصل العلم الحديث إلى معرفة قليل مما في السماء والأرض ، فوجد أن هذا القليل محير للعقل البشري لا يملك معه الا التسليم بوحدة المدبر ووحدة الناموس . (٤)

---

١ ـ محمد قطب ، مناهج التربية الاسلامية ، " ص : ٩٢ " .

٢ ـ عبدالرحمن عميرة ، " التربية الاسلامية وأثرها في المجتمع " " الاجتهاد في الشريعة الاسلامية وبحوث أخرى ، الرياض : جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م . ص ٢٧٩

٣ ـ الندوة العالمية للشباب الاسلامي ، الاسلام والحضارة ودور الشباب المسلم ص ٢٦٢

٤ ـ محمد شديد : منهج القرآن في التربية صـ ٧٧

قال تعالى :

سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . (فصلت : ٥٣).

وقال تعالى :

وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون . (الذاريات : ٢٠ ، ٢١).

فمن الركائز الأساسية فى التربية الإسلامية ، إذن ، أن حياة الإنسان فى هذا الكون ، هى حياة تدبر وإعمال فكر فيما أودع الله فى الكون من عناصر ظاهرة يكلف الإنسان باستثمارها من أجل توفير حياة أفضل لمخلوقات الله ، وعناصر باطنة أخفاها الله وجعلها من أسرار هذا الكون ، والإنسان مكلف بالكشف عنها لتحقيق حكمة تسخير الله لها لخدمة الإنسان ، ونجد التوجيه القرآنى لتدبر خلق الله فى مواضع كثيرة .

قال تعالى :

افلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت .
(الغاشية : ١٧ - ٢٠).

وقال تعالى :

خلق السماوات بغير عمد ترونها ، وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ، وبث فيها من كل دابة ، وأنزلنا من السماء ماء ، فأنبتنا فيها من كل زوج كريم . (لقمان : ١٠).

وقال تعالى :

الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلف ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عبادة العلماء إن الله عزيز غفور . (فاطر : ٢٧ ، ٢٨).

وقال تعالى :

قل انظروا ما ذا فى السموات والأرض . (يونس : ١٠١).

وقال تعالى :

إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون . (البقرة : ١٦٤).

ومن أهم سمات التوجيه الإسلامى للعقل أن يرفض كل مالم يقم عليه دليل عقلى أو نقلى . لذلك ، نجد القرآن يرد تمسك الكفار بدين آبائهم لمجرد أن آباءهم يعتنقونه ، ودون أن يتدبروا فيه بعقولهم .

قال تعالى على لســـانهم :

إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون . (الزخرف : ٢٣) .

ويحض على التثبت والتقصي قبل الأخذ بالأمر أو الحكم عليه ، وذلك لأن تأسـيس الحكم على جهالة يوقع في الخطأ ، ومن ثم يورث الندم .

قال تعالى :

ولاتقف ماليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مســـئولا) .

وقال تعالى : (الاسراء : ٣٦) .

ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ، أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادميـــن .

(الحجرات : ٦) .

كمايحث الله على أن يفكر الإنسان في حكمة التشـــريع .

تقول بنت الشـــاطئ : (١)

العقل في البيان القرآني هو لب الإنسان وفؤاده وقلبه . لم يأت في القرآن بغير هذه الكلمـــات الثلاث ، القلب بدلالته على العقل ، ويكثر أن يجيء بدلالته على العواطف والأهواء وكذلك الفؤاد والأفئدة .

وتتمحض الألباب العقول . فأولو الألباب هم أولوا العقول ، باســـتقراء آياتها في القرآن وعددهـــا ست عشـرة آيـة ، مع ملحظ من التوجيه فيها إلى ذوي العقول النيرة الرشـــيدة ، المرجوين للتدبر والتذكـر والتقوى والاعتبـار . مثل قوله تعالى :

ولكم في القصاص حياة يا أولي الألبـــاب لعلكم تتـــقون . (البقرة : ١٧٩) .

وقوله تعالى :

لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألبـــاب . (يوسف : ١١١) .

وفي كل حال ، لم تأت في أي موضوع منها بدلالتها الحســـية العضوية ، بل هي جميعا بدلالتها علـــــى معنويات الإنسان وعقله وعواطفه وأهوائه ، باســـتقراء آيات القلب مفردا ومثنى وجمعا في اثنين وثلاثين ومائة آية ، والفؤاد والأفئدة في ست عشرة آية .

وأضافت بنت الشاطئ :

وذكر علماء القرآن أن العقل منه مطبوع ومنه كســـبي ، وإلى الأول أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : "ماخلق الله خلقا أكرم عليه من العقل " . وإلى الثاني أشار بقوله : " ماكسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديـــه إلى هدى أو يرده عن ردى " .

---

١ ـ بنت الشاطئ " العقل في عقيدتنا لب الانسان ومناط الرشد والتكليف . جريدة الأهـــرام القاهرية ط٢ العدد ٣٧٧٥٤ (القاهرة : مؤسسة الاهرام ، في : ٢٤ / ٩ / ١٤١٠هـ ـ ٢٠/٤/١٩٩٠م . (ص : ١٠) .

ولكي يحافظ الاسلام على العقل ، فأنه حرم كل مايعرقل وظيفته مثل المسكرات ٠

قال تعالى :

إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ٠

(المائدة : ٩٠)٠

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

" كل شراب أسكر فهو حرام " (صحيح البخارى)٠

وقال صلى الله عليه وسلم :

" رفع القلم عن ثلاثة : النائم حتى يستيقظ والمجنون حتى يفيق ، والصغير حتى يبلغ " ٠

(رواه ابن ماجه وغيره)٠

ويمكن تبيان مدى عناية التربية الاسلامية بوظيفة العقل فى قول سيد قطب :

وما من دين احتفل بالادراك البشرى ، وايقاظه وتقويم منهجه فى النظر واستجاشته للعمل ، واطلاقه من قيود الوهم والخرافة ، وتحريره من قيود الكهانة والأسرار المحظورة أو صيانته فى الوقت ذاته من التبدد فى غير محالة ، ومن الخبط فى التيه بلا دليل ٠٠٠٠ما من دين فعل ذلك كما فعله الاسلام ٠ (١)

ج ـ النفس :

ذكرنا أن الجسم يحوى قنوات اتصال الانسان بالعالم من حوله وأن العقل هو مركز هذه الاتصالات الذى يترجم الإشارات الواردة من الخارج إلى سلوك ٠ ونرى أن النفس هى التى توجه هذا السلوك فإذا كان نزوعها للخير كان نزوعا خيرا يكون فى شخصية المسلم توجها خيرا ، أما إذا كان غير ذلك فإنه يكون فى شخصية المسلم توجها شيطانيا ٠ ولأهمية النفس أقسم بها الله تبارك وتعالى ، وأوضح ماالهمه إياها من نزوع فى قوله تعالى :

ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ٠ (الشمس : ٧ ـ ١٠)٠

ويوضح النزوع الخير للنفس فى قوله تعالى :

ياأيتها النفس المطمئنة ، أرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى فى جنتى ٠

ويوضح النزوع الشيطانى فى النفس فى قوله تعالى : (الفجر : ٢٧ ـ ٣٠)٠

وما أبرىء نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا مارحم ربى ٠ (يوسف : ٥٣)٠

---

١ ـ سيد قطب ، خصائص التصور الاسلامى ، ومقوماته ، (ط ٧) ، القاهرة : دارالشروق ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م ، (ص : ٤٩)٠

والنفس في القرآن تطلق على الذات بجملتها (١)، بدليل قوله تعالى :

فسلموا على أنفسكم. (النور : ٦١).

وقوله تعالى :

يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها. (النحل : ١١١).

وتطلق على الروح وحدها (٢) كما في قوله تعالى :

ياأيتها النفس المطمئنة. (الفجر : ٢٧).

وقوله تعالى :

ونهى النفس عن الهوى. (النازعات : ٤٠).

وقوله تعالى :

ان النفس لأمارة بالسوء. (يوسف : ٥٣).

ويرى ابن القيم أن للنفس ثلاثة جوانب (٣) : النفس المطمئنة بدليل قوله تعالى :

يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعي الى ربك راضية مرضية. (الفجر : ٢٧، ٢٨).

وطبقا لمختصر تفسير الطبري فان تفسير هذه الآية أن الملائكة تقول لأولياء الله يوم القيامة ياأيها النفس التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد به أهل الإيمان في الدنيا (٤).

وطبقا لصفوة التفاسير فان تفسير هذه الآية تعني ياأيتها النفس الطاهرة الزكية ، المطمئنة بوعد الله التي لايلحقها اليوم خوف ولا فزع (٥).

والنزعة الثانية هي النفس اللوامة بدليل قوله تعالى :

ولا أقسم بالنفس اللوامة. (القيامة : ٢).

---

(١) امام ابن القيم الجوزيه ، تحقيق عادل عبد المنعم ابو العباس ، الروح (القاهرة : مكتبة القرآن للطبع والنشر ، بدون تاريخ . ص : ٢٤٥ .

(٢) نفس المرجع

(٣) المرجع نفسه. ص : ٢٤٩ .

(٤) الشيخ محمد على الصابوني والدكتور صالح رضا ، مختصر تفسير الطبري . بيروت : دار القرآن ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م ، ص : ٥٢٩ .

(٥) محمد على الصابوني، صفوة التفاسير المجلد الثالث بيروت : دار القرآن ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١ م ص : ٥٥٩ .

وهناك أقوال كثيرة في النفس اللوامة (١) :

قال الحسن البصري إن المؤمن لاتراه إلا يلوم نفسه دائما يقول : ماذا أردت بهذا ؟ لم فعلت هذا ؟ كان غير هذا أولى ونحو هذا الكلام ·

وقال غيره : هي نفس المؤمن توقعه في الذنب ، ثم تلومه عليه ، فهذا اللوم من الإيمان بخلاف العاصي ، فإنه لايلوم نفسه على ذنب بل يلومها وتلومه على فواته ·

وقالت طائفة : بل هذا اللوم للنوعين ، فان كل أحد يلوم نفسه برا كان أو فاجرا ، فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية الله وترك طاعته ، والشقي لايلومها إلا على فوات حظها وهواها ·

وقالت فرقة أخرى : هذا اللوم يوم القيامة فان كل أحد يلوم نفسه ، وإن كان مسيئا على إساءته ، وإن كان محسنا على تقصيره ·

والفرعية الثالثة هي النفس الأمارة بالسوء ، فهي النفس المذمومة ، فأنها تأمربكل سوء وهذا من طبيعتها إلا ما وفقها الله وثبتها بإيمانها ·

فالنفس عند ابن القيم ، اذن ، نفس واحدة وليست ثلاثة أنفس ، نفس واحدة لها صفات تسمي باعتبارها فتسمى "مطمئنة" باعتبار طمأنينتها إلى ربها ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه إلى غير ذلك من الصفات الخيرة المتواصلة بالله ·

وتسمى النفس "لوامة" باعتبارها لاتزال تلوم صاحبها على طاعة الله مع بذل جهده فهذه غير ملومة ، وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة الله وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتمل في الله ملام اللوام فهي التي يلومها الله عز وجل ، وتسمى النفس "أمارة بالسوء" باعتبارها توسوس لصاحبها بالعمل السيىء · (٢)

ويقول نجاتي عن جوانب النفس الثلاثه :

يمكن أن تتصور هذه المفاهيم الثلاثه" وهي الامارة بالسوء ، والنفس اللوامة ، والنفس المطمئنة على أنها حالات تتصف بها شخصية الإنسان في مستويات مختلفه من الكمال الإنساني التي تمر بها أثناء صراعها الداخلي بين الجانبين المادي والروحي من طبيعة تكوينها · فحين تكون شخصية الإنسان في أدنى مستوياتها الإنسانية بحيث تسيطر عليها الأهواء والشهوات والملذات البدنية فانها تنطبق عليها وصف "الامارة بالسوء" وحينما تبلغ الشخصية أعلى مستويات الكمال حيث يحدث التوازن التام بين المطالب البدنية والروحية ، فإنها تكون في الحالة التي ينطبق عليها وصف "المطمئنة" ·

---

(١) ابن القيم الجوزية ، الروح ، مرجع سابق · ص : ٢٥٦ ·

(٢) " " " ، مرجع سابق · ص : ٢٤٩ ·

وبين هذين المستويين مستوى آخر متوسط بينهما يحاسب فيه الانسان نفسه على مايرتكب من أخطاء ، ويسعى جاهداً إلى الامتناع عن ارتكاب ما يغضب الله ، ويسبب له تأنيب الضمير ، ولكنه لا ينجح دائما في مسعاه ، فقد يضعف ويقع في الخطيئة ويطلق على الشخصية في هذا المستوى النفس اللوامة.(١)

ومماينبغي ذكره أيضا أن في النفس جانب محسوس وهومايتصل بالجسم مخلص مشكور ولكنها ليست كلها محسوسه . ويمكن فهم النفس في الاسلام بأنها " كائن مركب من جانب مغيب لا سبيل للعلم به إلا بتعليم من الله ، وجانب مشهود يمكن العلم به علما جزئيا ، وأقول جزئيا لأن الجانب المحسوس من الإنسان مرتبط بالجانب المغيب ، ولايمكن فهمه فهما صحيحا الا به ".(٢)

وتستخدم كلمة القلب في القرآن بمعنى النفس أو بمعنى العقل . وكذلك الأمر بالنسبة لكلمة الفؤاد وفي هذا ذكر الدكتور خليل :(٣)

وقد جاء القلب بمعنى النفس الأمارة بالسوء في قوله تعالى :

كذلك نسلكه في قلوب المجرمين ، لايؤمنون به وقد خلت سنة الأولين . (الحجر : ١٢ - ١٣).

وفي قوله تعالى : وحده

وإذا ذكر الله اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة . (الزمر : ٤٥).

وفي قوله تعالى :

وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء . (الفتح : ١٢).

وفي قوله تعالى :

فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض . (الاحزاب : ٣٢).

وفي قوله تعالى :

ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا . (آل عمران : ٨).

وفي قوله تعالى :

أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها . (محمد : ٢٤).

ويذكر الدكتور رشاد أن القلب جاء بمعنى النفس المطمئنة في قوله تعالى :

ألا بذكر الله تطمئن القلوب . (الرعد : ٢٨).

---

(١) محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٥ / ١٩٨٥م ، ص ص : ٢١٥، ٢١٦ .

(٢) محمد رشاد خليل ، علم النفس الاسلامي العام والتربوي ، دراسة مقارنة ، الكويت : دار القلم ١٤٠٧ / ١٩٨٧ ، (ص ٧١)

(٣) المرجع السابق ص ٥٩ ، ص ٦٠

ويستعمل القلب فيما هو من عمل النفس في مختلف العواطف والمشاعر والأحاسيس وذلك في قوله تعالى :

سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب . (الأنفال : ١٢).

وفي قوله تعالى :

وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر . (الاحزاب : ١٠).

وفي قوله تعالى :

ثم قست قلوبكم . (البقرة : ٧٤).

وقد أتت كلمة القلب فيما نسب للعقل ، كما في قوله تعالى :

لهم قلوب يعقلون بها . (الحج : ٤٦).

وفي قوله تعالى :

وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه . (الانعام : ٢٥).

وتأتي كلمة " الفؤاد " في القرآن بمعنى كلمة " القلب " . كما في قوله تعالى :

وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤدك . (هود : ١٢٠).

وقوله تعالى :

ونقلب أفئدتهم وأبصارهم. (الانعام : ١١٠).

وقوله تعالى :

ما كذب الفؤاد ما رأى . (النجم : ١١).

ونحن نتفق مع هذه النظرة إلى كل من القلب والفؤاد . ولانرفض أن يكون لكل منهما تفسير آخر في الحال أو الاستقبال . فقد وضع الله في خلقه من الأسرار والخبايا ، ماينفرد وحده بعلمها ، ولايقدر عليها أحد من عباده إلا بأذنه . وجميع التفسيرات التي نقبلها أو نرفضها بناء على ماعلمنا منها ، وعلمنا لاشك قاصر والله وحده الأعلم.

د – الروح

أما الروح ، في الاسلام فهي الوازع الديني والحبل المتين الذي يحفظ صلة الإنسان بالله ، ويكون حضورا مستمرا للشعور برقابة الله على تصرفات الإنسان ، ودوافع متجددة نحو العمل على تقوية العقيدة والالتزام بالشريعة وتأدية الفرائض ، وهي ضابط لتصرف الفرد على الطريق المستقيم ، موجه لأعماله وأقواله وفق منهج الله ، وهي إحساس غامر بوجود الله بكل صفاته وبعلمه الأزلي ، وهي الطاقة الإيمانية التي تسيطر على السلوك ، وتحدد نظرة الإنسان لذاته وللكون والحياة ، وللنواميس الربانية ، وهي في عالم السر الذي يتم فيه الاتصال بدون موصلات مادية ، ودون عبارات أو إشارات ، غير معروف كنهها لأنها من

أمر الله عــــز وجـــــل ٠

لذلك ، نجد أن " تمزق الأرواح ســـببه الأول إعتقاد أصحابها أنهم يعيشون في عالم بلا إله ، وأنهم يبحثون عن عدل دون اعتقاد في عادل ، ويحاولون النهوض بحياة يعتقدون أن مصيرها التراب ٠ (١)

ويقول محمد قطب : " الروح هي الطاقة التي يتصل بها الإنسان بالمجهول ٠٠٠٠ بالغيب المحجوب عن الناس " (٢) ، ويضيف " الروح هي وسـيلتنا للاتصال بالله " ، ويذكر أن من وظائفها الاستشـــفاف والحكــم التنــبؤى والتخــاطــر (٣) ٠

أما علي القاضي فيقول عن الروح :

" الروح هي الطاقة التي يحس الإنسان بها بالغيب المحجوب عن الحواس ووظيفتها الاتصـــال بالله سبحانه وتعالى فهي قبس من الله عــز وجـــل " (٤) ٠

وطبقا لما ذكره الدكتور /أحمد شـلبي (٥) ، فان كلمة الروح قد وردت في القرآن الكريم بثلاثة معـــان

الأول بمعنى جبريل عليه السلام وذلك في الآيات ، مثـــل :

قوله تعالى :

يوم يقوم الروح والملائكة صـــفا ٠٠٠٠ (النبأ : ٣٨) ٠

وقوله تعالى :

وأيدناه بروح القـــدس ٠ (البقرة : ٨٧) ٠

---

(١) مصطفى محمـــود ، الروح والجســـد ، الطبعة الأولى ، بيـــروت : دار الكتـــاب العـــربـــي (ص : ١٨) ٠

(٢) محمد قطـب ، مناهج التربية الاســـلامية (ص : ٤٥) ٠

(٣) المرجع الســـابق ٠

(٤) علي القاضـــي ٠

(٥) احمد شـــلبي ، مقـــارنة الأديـــان ، المســـيحية ، (ط : ٨) ، القاهـــرة مكتبـــة النهـضة المصـــرية ، عـــام ١٩٨٤ م ، (ص : ٤٤) ٠

وقوله تعالى :

نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . (الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤).

وقوله تعالى :

فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . (مريم : ١٧).

وقوله تعالى :

تعرج الملائكة والروح اليه . (المعارج : ٤).

وقوله تعالى :

تنزل الملائكة والروح فيها . (القدر : ٤).

وفي المعنى الثاني جاءت كلمة الروح بمعنى الوحي بوجه عام والقرآن بصفة خاصة. وذلك في الآيات، مثل

قوله تعالى :

ينزل الملائكة بالروح من أمره . (النحل : ٢).

وقوله تعالى :

يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده . (غافر : ١٥).

وقوله تعالى :

وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا . (الشورى : ٥٢).

وقوله تعالى :

أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه . (المجادله : ٢٢).

وفي المعنى الثالث جاءت كلمة الروح بمعنى القوة التي تحدث الحياة في الكائنات. وذلك ، في الآيات مثل :

قوله تعالى :

ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي . (الاسراء : ٨٥).

وقوله تعالى :

إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . (الحجر : ٢٩)

وقوله تعالى :

إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . (ص ٧١)

قوله تعالى :

والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا . (الأنبياء : ٩١) .

وقوله تعالى :

ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا . (التحريم : ١٢) .

وقوله تعالى :

ثم سواه ونفخ فيه من روحه. (السجدة : ٩) .

بناء على ماسبق ، فاننا نرى أنه لايمكن أن نخضع الروح للتربية والتوجيه بالمعنى الذي نفهمه في تطبيقاتنا التربوية ، فهي قد تتساوى مع النفس من حيث أنها ليست عضوا ماديا يمكن تناوله على المستوى المحسوس،إلا أنها تختلف عنها في أنها من أمر الله . فقد قال تعالى :

ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي . وما أوتيتم من العلم الا قليلا .

(الاسراء : ٨٥) .

ثالثا : وظيفة الانسان في الحياة ٠

وظائف الإنسان الأساسية في الحياة ، كما بينها الحق تبارك وتعالى ، اثنتان :

أ ــ عبادة الله :

قال تعالى :

وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ٠ (الذاريات : ٥٦ ـ ٥٧) ٠

وقال تعالى :

قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ٠ (الأنعام : ١٦٢) ٠

وقال تعالى :

قل إن الأمر كله لله ٠ (آل عمران : ١٥٤) ٠

١ ــ هذا الانقياد المطلق لله هو أساس حياة المسلم ووظيفته في الكون ٠ فهو يؤدي الفرائض لله سبحانه وتعالى ، ويعمل أينما يكون ، وفي كل حين ، ومهما كانت طبيعة العمل الذي يعمله،فيكون عمله كله لله سبحانه، مادام مراعيا حدود الله فيه مخلصا النية لله فيه ، ويتسع نطاق العبودية ليشمل جميع مايفعل الإنسان في سره وعلنه ، وما يتعلق منه بذاته وما يتعلق منه بغيره من بني الإنس أو من غير بني الانس ، وما يدخل منه في نطاق الأحياء ، وما يدخل منه في نطاق الجوامد والمواد ٠ فهو في كل هذا يؤدي وظيفته الأساسية في الكون ، ألا وهي عبادة الله سبحانه وتعالى ٠ وهي عبادة مختارة يختارها الإنسان ويعتز بها ويبذل من نفسه وماله وبنيه وذويه في سبيلها كل رخيص وغال طوعا ، بل يستبق إلى ذلك ما استطاع إليه سبيلا ٠ ومن ثم فإن حقوق الإنسان وحرياته في تعامله مع الإنسان الآخر والمجتمع والدولة تصبح مرتبطة بعقيدة التوحيد وتربيته عليها ٠

٢ ــ وبذلك فان الإسلام يجعل العبادة القاعدة الكبرى ويستمد منها نظام الحياة كله " الفرد في خلوته والناس في جمعهم ، في وقت التعبد وفي وقت العمل ، في وقت التعامل ، في تجارة أو صناعة أو سياسة أو حرب أو سلم في وقت المودة وفي وقت الخصومة ، في كل لحظة من اللحظات يربي الإسلام الفرد على أن تكون صلته بالله وتعامله مع الله وخشيته من الله وحبه لله ، ورجوعه إلى منهج الله " ٠ (١)

قال تعالى :

قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير ٠ تولج الليل في النهار ، وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت ،وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ٠ (آل عمران : ٢٦ ــ ٢٧) ٠

---

(١) محمد قطب ، مناهج التربية الاسلامية. (ص : ٤١) ٠

٣ـ وعلاقة المسلم بالله في عبادته مباشرة لا وساطة فيها :

قال تعالى :

وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان . (البقرة : ١٨٦) .

وقال تعالى :

أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله ، قليلا ماتذكرون . (النمل : ٦٢) .

وقال تعالى :

ونحن أقرب اليه من حبل الوريد . (ق : ١٦) .

٤ ـ والاله المعبود في الإسلام هو عالم الغيب المحيط بكل شيء علما .

قال تعالى :

ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين .

(يونس : ٦١) .

وقال تعالى :

وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم مافي البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولاحبة في ظلمات الأرض ، ولارطب ولايابس إلا في كتاب مبين . (الانعام : ٥٩) .

وقال تعالى :

ألم تر أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض . وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم . (المجادلة : ٧) .

وقال تعالى :

انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . (يس : ٨٢) .

وقال تعالى :

وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده ، وهو الغفور الرحيم . (يونس : ١٠٧) .

٥ ـ ولقد ترك الله للإنسان حرية الاختيار لكن هذه الحرية مقيدة بحدود الله ، وكل إنسان سوف يحاسب على عمله في الآخرة .

قال تعالى :

وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى . (النجم : ٣٩ ـ ٤١) .

وقال تعالى :

وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا . (الاسراء : ١٣ ـ ١٤) .

وقال تعالى :

كل نفس بما كسبت رهينة . (المدثر : ٣٨) .

وقال تعالى :

فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وينقلب إلى أهله مسرورا ، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ، ويصلى سعيرا . (الانشقاق : ٧ ـ ١٢) .

وقال تعالى :

فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . (الزلزلة : ٧ ، ٨) .

وقال تعالى :

ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى .

(النجم : ٣٨ ـ ٤١) .

مما سبق يتبين أن مدلول العبادة في الاسلام شامل لايقتصر على الفرائض ، فالحياة وحدة لاتنفصل فيها العبادات عن السلوك ، فكله لله ، ومن أهم مقوماتها عقيدة التوحيد/الإيمان بالله الواحد الأحد وبملائكته ، وكتبه ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره .

وعبادة هذه مقوماتها لابد من أن تقود إلى تحكيم شريعة الله والسير على منهجه في القول والعمل .

ب ـ عمارة الأرض :

الشق الثاني من وظيفة الإنسان في الحياة الدنيا هو عمارة الأرض . فلقد استخلف الله تبارك وتعالى الإنسان في الأرض واستعمره فيها ، وهي جزء من عبادة الله ، وهي أيضا جالرجاء

قال تعالى :

ويجعلكم خلفاء الأرض .... (النمل : ٦٢) .

وقال تعالى :

هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها . (هود : ٦١) .

وقال تعالى :

ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش . (الأعراف : ١٠) .

وقال تعالى :

وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون . (الأعراف : ٧٤) .

١ - ولقد أعان الله تبارك وتعالى الانسان على عمارة الأرض بسبل شتى ، أهمها عقيدة التوحيد التى توحد طاقة الإنسان في عبوديته لله وحده ، وتحرر أرادته من أية رقابة سوى رقابته على نفسه للالتزام بما أحل الله وتجنب ما حرم الله ، وتحرر طاقته لا ستثمار ما أودع الله فى الأرض من خيرات .

واعان الله تبارك وتعالى الإنسان على عمارة الأرض بأن أنزل له الشريعة التى تحدد له علاقته مع ربه وعلاقته مع نفسه وعلاقته مع غيره من البشر ومع المجتمع بعامة ، وغير ذلك من العلاقات التى بينها الله تبارك وتعالى فى كتابة الحكيم . وجاءت السنة المطهرة فوضحت وشرحت وأضافت مازاد الشرع وضوحا وانسجاما مع مقتضيات الحياة فى كل عصر ومصر .

وأعان الله تبارك وتعالى الإنسان على عمارة الأرض بأن سخر له ما فى الكون من سماوات وأرض وحيوان ونبات وطير وجماد وهواء وماء والشمس والقمر والنجوم وأنساق الكواكب وتراكيب الفضاء وغيرها مما أودع الله فى الكون من عناصر ونظم .

وأعان الله تبارك وتعالى الإنسان على عمارة الأرض بأن جعله قادرا على تحصيل العلم فأودع فيه السمع والبصر والفؤاد ووهبه العقل الذى يفكر والسان الذى يعبر واليد التى تتناول ، والرّجل التى تسعى .

وأعان الله تبارك وتعالى الانسان على عمارة الأرض بأن أودع فيه من الأجهزة ما يعوضه عما يفقده من طاقة ، والأعضاء التى يمكن تعويضها من إنسان لإنسان فنحن نسمع كل يوم عن قلب أو كلية أو قرنية أو دم ينقل من إنسان لآخر . أما ترقيع جلد الإنسان فى موضع من جسمه إلى موضع آخر فهذه خاصة أخرى أودعها الله فى الإنسان لتساعده على التمتع بالصحة التى تعينه على عمارة الأرض .

٢ - واستخلاف الله للإنسان فى الأرض وتسخير الكون له وإعانته على عمارة الأرض فى حياته الدنيا يحاسب عليه الانسان فى الحياة الأخرة . فكما سبق أن بينا فإن هذه النعم مثل غيرها امتحان للإنسان من ربه ليرى ماذا هو صانع بها . فهل يستخدمها فى سبيل إعلاء كلمة الله فى الأرض ؟ أم يستخدمها ليهلك الحرث والنسل والزرع والضرع ؟ فإذا عمّر الأرض لصالح البشرية كلها تكون خطاه على منهج الله ، والا فقد حاد عن هذا المنهج . فهذه النعم لايوفى الإنسان شكر الله عليها إلا باتباع صراطه الحميد .

٣ - وعمارة الأرض وإن كانت تكليفا من الحق تبارك وتعالى للإنسان مادامت الحياة الدنيا وإلى يوم القيامة، إلا أنها بالنسبة للإنسان الفرد موقوته بأجله فى الحياة . وهذا يعنى أن على الإنسان أن يستفرغ طاقته وعلمه وعمله فى عمارة الأرض دون تأجيل أو تسويف حتى لايوافيه الموت الذى لا يعلم ميقاته إلا الله (سبحانه وتعالى) ، وهو لم يؤد الواجب الذى أناطه الله به ، وهذه العمارة تعتمد على العلم والعمل الذى حض الله الانسان عليهما .

وفيما يلى نتناول تكليف الحق تبارك وتعالى الإنسان بالعلم والعمل بشئ من التفصيل ، نظرا لأهميتهما

الخاصة في عمارة الأرض ، ونظرا لأننا لم نعالجهما من قبل ٠

٣ ـ ١ العلم :

ان الله الذى أهل الانسان للتعلم ، قد كلفه بتحصيل العلم كى يستطيع أداء رسالته فى الحياة بالنسبة لعمارة الأرض ، وبجيد استثمار تسخيرها له بما فيها من أحياء وجماد لخدمة البشرية ٠ بل ان عبادته لله على بصيرة لايمكن أن تتحقق دون تحصيله للعلم بصورة تواكب الحياة المعاصرة ، ودون علم يذكى ابتكارات تطبيقه فى مختلف جوانب الحياة نظاما وأسلوبا وأداة وتقنية ٠ والعلم الذى يكلّف المسلم بتحصيله وتنميته لا يقتصر على مجال دون آخر ، ولا زمن دون زمن أو مكان دون مكان ٠ فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها ٠ ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسوة حسنة حين وجد فرصة لتعليم المسلمين القراءة والكتابة ، فجعل فداء الأسير من الكافر أن يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ٠

فلا حدود ولا قيود على العلم فى التصور الاسلامى ، سواء النظرى منه أو التجريبى والتطبيقى إلا قيدا واحدا يتصل بالغايات والمقاصد من ناحية وبالنتائج الواقعية من ناحية أخرى ٠ فالعلم فى الإسلام عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله ، وأداة إصلاح فى الأرض فلا ينبغى أن يستخدم فى إفساد العقيدة والأخلاق ، كما لايجوز أن يكون أداة ضرر وفساد وعدوان ، ومن ثم فكل مايصادم العقيدة الإسلامية أو لايخدم أهدافها ومقتضياتها فهو مرفوض فى المنهج الاسلامى ٠ (١)

والعلم فى الإسلام سابق على النية إذ لايستطيع أن ينوى الإنسان عمل شىء دون أن يكون لديه معرفة سابقة به ، بل ان العلم مؤسس للنية وهى بدورها مؤسس للعمل ٠ فاذا نظرنا الى قوله تعالى :

فاعلم أنه لااله الا الله ٠ (محمد : ١٩) ٠

لعرفنا أن العلم هو الخطوة الأولى على طريق المسلم ٠ فلا يمكننا أن نتصور أن يمارس المسلم العبادات دون أن يكون على معرفة بوجوبها وكيفيتها وحدودها وتكاليفها ، وموقف كل من يؤديها ومن يقصر فيها من الله سبحانه وتعالى ٠

ومادام العلم مؤسسا للنية ، والنية بدورها مؤسسة للعمل ، فإن العلم يصبح واجبا على كل مسلم طبقا لقوله صلى الله عليه وسلم :

انما الأعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه ٠ (رواه البخارى ومسلم) ٠

(١) محمود سفر ، دور الشباب المسلم "الاسلام والحضارة" المجلد الثانى ، الطبعة الثانية : الرياض : الندوة العالمية للشباب الاسلامي ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ، ص ٦٠ ، ٦١

ويقرر رسول الله أن العلم فريضة على المسلمين جميعا ، لافرق في هذا بين ذكر وأنثى ، ولا بين صغير وكبير ٠ فجميع هؤلاء عليهم واجب السعي للتزود بالعلم ، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم :

طلب العلم فريضة على كل مسلم ٠ (رواه ابن ابن ماجه الجامع لأحكام القرآن) ٠

ونجد الأمر الإلهي من رب العالمين لمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :

اقرأ باسم ربك الذي خلق ٠ (العلق : ١) ٠

ومما هو جدير بالذكر أن تكون هذه أول آية من الكتاب أنزلت على حامل الرسالة ومبلغها إلى العالمين ليهديهم الى دين الله ٠

وهذا رسول الله يوضح جزاء من يسعى في طلب العلم تحفيزا لأبناء المسلمين على طلبه وتشجيعا لهم على الارتواء من منهله ، وذلك في قوله عليه السلام :

من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ٠ (رواه البخاري ومسلم) ٠

وأمر آخر من الخالق الباري بأن يسعى المسلمون إلى إعداد قوتهم التي تجعل أعداءهم يهابونهم فلا يعتدون عليهم ، ولاينتهكون لهم حرمة ولا أرضا ، وذلك في قوله تعالى :

وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ٠

(الأنفال : ٦٠) ٠

والقوة هنا هي القوة الشاملة التي تشمل قوة العقيدة وقوة التمسك بشرع الله ، وقوة المحافظة على أداء فرائضه ، وقوة تطبيق منهجه في المعاملات والأخلاق ، وقوة السعي في عمارة الأرض وتسخير الكون لصالح البشر على أساس من العلم والمعرفة التي تجعل هذه العمارة وذلك التسخير في صورتهما المثلى ٠

ويقول الحق تبارك وتعالى :

فتعالى الله الملك الحق ، ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى اليك وحيه ، وقل رب زدني علما ٠

(طه : ١١٤) ٠

وقال تعالى :

وما أوتيتم من العلم الا قليلا ٠ (الاسراء : ٨٥) ٠

وفي هذه الآيه يوضح الله عز شأنه أنه مهما أوتي الإنسان من العلم فإنه قليل بالمقارنة الى ماهو كائن في أسرار الخلق ، وهنا توجيه مباشر لبذل الجهد في سبيل الدأب على تحصيل العلم ٠

وقال تعالى :

قل انظروا ماذا في السموات والأرض ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون ٠ (يونس : ١٠١) ٠

وفي هذه الآية الكريمة أمر صريح للنظر في خلق السماوات والأرض · والتفكير فيما أودع الله في الأرض من مصادر طبيعية مثل خامات المعادن وينابيع المياه ، وفي الماء من أحياء مائية ، وفي السماء من مجموعات للكواكب كل في فلك يسبحون · هذه وغيرها تدعو للنظر لأمرين ·

الأول : للتفكير في بديع صنع الله.والثاني:للاستفادة مما أودع فيها لصالح البشر وعمارة الأرض ·

قال تعالى :

وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون · (التوبه:١٢٢)

وقد جعل الله سبحانه وتعالى العلم مؤهلا للنبوة ، التي هي العلم من الله سبحانه وتعالى ·

قال تعالى :

ولما بلغ أشده أتيناه حكما وعلما · (يوسف : ٢٢)

وقد يبين لنا (مختصر تفسير ابن كثير (أن) آتيناه حكما وعلما تعني النبوة ·

وقد حث الرسول الأمين على التعلُّم والتعليم في قوله صلى الله عليه وسلم ·

العالم والمتعلم شريكان في الأجر ، ولاخير في سائر الناس بعد ·

(جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر)

وأخرجه ابن ماجه

قال صلى الله عليه وسلم :

من تعلم الرمي ثم تركه فقد عصاني (أخرجه ابن ماجه)

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يبعث إلى ساكني الامصار يحثهم على تعليم أولادهم السباحة والفروسية ويروونهم ماسار من المثل وحسن من الشعر ·

(البيان والتبيين)

وهذا الحسن بن علي رضي الله عنهما يقول لبنيه كما ورد في خلاصة تهذيب الكمال لأسماء الرجال :

تعلموا العلم فإنكم/إن تكونوا صغار قوم تكونوا كبارهم غدا ، فمن لم يحفظ فيكتب

وقد ورد في جامع بيان العلم وفضله أن حسن البصري قال لابنه :

جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ، فإن الله يحيي القلوب الميته بالحكمة كما يحي الأرض الميتة بوابل السماء · ويرد نفس المعنى على لسان لقمان الحكيم لابنه في نفس المصدر ، إذ قال :

يابني زاحم العلما بركبتيك ، وأنصت إليهم بأذنيك ، فإن القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرض الميتة بالمطر ·

ورسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التملق إلا في طلب العلم في قوله :

ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا في طلب العلم · (جامع بيان العلم وفضله)·

والمسلم مكلف بتحصيل العلم النافع للأمة حتى ولوكان معلمه كافرا :

فلقد جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم أسر يوم بدر سبعين أسيرا وكان يفادي بهم على قدر أموالهم ، وكان أهل مكة وأهل المدينة لايكتبون ، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة

فعلمهم . فاذا حذقوا فهو فداؤه .

وهكذا أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفتح للمسلمين آفاق العلم لأن الأمة في حاجة إلى العلم الذي يدعم مسيرتها في التعلم عن دين الله والتفقه فيه ، وفي دفع الحاجة عن مجتمع المسلمين ، وفي الجهاد . ووجد الكفار لديهم مايمكن تعلمه فأتاح للمسلمين فرصة لتعلمه .

٣ - ٢ العمل :

إن عمارة الأرض وفق منهج الله تتطلب العمل الدءوب للارتقاء بحياة البشر والوفاء بحق نعمة تسخير مافي الكون للإنسان . والإنسان محاسب على عمله أحسن أو أساء فإن كان خيرا فهو الثواب ، وإن كان شرا فهو العقاب . لذلك ، فإن المسلم لايعمل خوفا من طائلة قانون،فإذا غاب منفذه أو إستطاع مغافلته انحرف عن جادة الطريق ، ولكنه يعمل مرضاة لله وحبا له ورغبة في ثوابه وخشية من حسابه في الآخرة . وهو يشعر برقابة الله له ، وبعلمه بعمله سواء في السر أو العلن ، ويعد العدة ، ويتزود بالزاد ، ليوم الميعاد الذي لايعلمه إلا الله . إذن ، الاستخلاف موقوت بالحياة في الدنيا ، وبعدها يأتي الحساب عن مدى الإسهام في عمار الأرض

ويهدف الإسلام إلى عمارة الأرض أقصى/إلى مداها وبأفضل الأساليب وصولا بها إلى أكثر عطائها . لذلك ، حث الله المسلم على العمل الجاد المثمر المتواصل. فالإنسان مكلف بالعمل والكدح ليعمر الأرض ، التي جعله الله فيها خليفة .

قال تعالى :

يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه. (الانشقاق: ٦)

وقال تعالى:

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . (التوبه : ١٠٥)

ولم يرضى الله للمسلمين أن يعتكفوا في المساجد دون الضرب في مناكب الأرض وإستغلال ثرواتها لصالح البشرية ، بل أمرهم بالجمع بين أداء واجبات العبادة والعمل . فقال تعالى :

فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله وأذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون .

(الجمعة : ١٠).

ووصل اهتمام الدين الحنيف بالعمل إلى درجة حث المسلمين عليه حتى لو أحسوا بقيام الساعة .

قال صلى الله عليه وسلم :

إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيله فليغرسها . (رواه أحمد بن حنبل)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من أحيا أرضا ميتة فهي له ، وليس لعرق ظالم حق . [1] (رواه أحمد بن حنبل).

وقال صلى الله عليه وسلم :

مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له صدقة
(متفق عليه)

وقال :

ماأكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده . (أخرجه البخاري)

والإسلام يرغب المسلمين في إتقان عملهم ، فيجعل لاحسان العمل أجرا مقررا من الله تبارك وتعالى ، ويحذر من الغش أو الخداع فيه .

قال تعالى :

انا لانضيع أجر من أحسن عملا . (الكهف : ٣٠)

وقال صلى الله عليه وسلم :

ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه . (رواه البيهقي)

وقال :

من غشنا فليس منا . (رواه مسلم ابن الحجاج واحمد ابن حنبل)

والعمل الذي يحسب للمسلم/له أو عليه لابد من أن يؤسس على النية ، فأعمال المسلم لابد من أن تكون مقصودة ، يعملها المسلم وقد عقد العزم عليها ، وابتغى بها وجه الله عن إرادة وتصميم وتهيؤ .

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه .
(رواه البخاري ومسلم)

وهكذا نجد أن وظيفة الإنسان من منظور التربية الإسلامية تستلزم منه العمل الدوءب والسعي الحثيث في سبيل الوفاء بأمانة الإستخلاف وعمارة الأرض آخذا في ذلك بالاسباب ومنها تحصيل العلم ، وتقتضي حكمة المنهج الرباني أن يتابع الله عمل الإنسان ويحاسبه عليه ، وأن يؤسس التغير في حياة البشر على جهاد منهم في سبيل احداثه .

قال تعالى :

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون. (التوبه : ١٠٥).

وقال تعالى :

إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . (الرعد : ١١).

وقال تعالى :

وأن ليس للانسان الا ماسعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى .

(النجم : ٣٩ - ٤١).

ومع هذا التكليف بالكدح في الحياة الدنيا للوفاء بأمانة الاستخلاف في الأرض وعمارتها، إلا أن الخالق هو الأعلم بقدرات خلقه . لذلك ، فإن منهج الله قد التزم بالواقعية في هذا التكليف فلم يطلب من الإنسان فوق طاقته أو قدرته .

قال تعالى :

والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، لانُكَلِّفُ نفساً إلا وسعها .

(الأعراف : ٤٢).

وقال تعالى :

لايكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت .

(البقرة : ٢٨٦).

وقال تعالى :

لايكلف الله نفساً إلا ما آتاها . (الطلاق : ٧).

وهكذا يجعل الله تبارك وتعالى العلم والعمل ركيزتين أساسيتين في العمل على عمارة الأرض ويكلف المسلم بها مادام حيا وماوسعته إليهما طاقته .

رابعا : أهم مراحل نمو الإنسان .

اذا فهمنا التربية بأنها ،في جوهرها ، عملية مقصودة للتغيير في سلوك الفرد بهدف تحقيق أهداف معينة ، وأن المؤسسات التربوية ينبغي أن تتخذ كافة السبل لاحداث التغيير المطلوب ، فإنا نجد أن نظرة التربية الاسلامية الى تربية الفرد غير مسبوقة في أنها بدأت العناية بالفرد قبل تكوينه بأن وضعت أسسا لاختيار الزوجين ، وأفردت للحامل خصوصيات حتى تستطيع أن تكون حاضنة مناسبة لنمو الجنين ، كما خصصت حقوقا للزوجة في حال الرضاعة الى غير ذلك من الاجراءات التي حددتها التربية الاسلامية تطبيقا للمفهوم الخاص بالاسلام عن مراحل نمو الفرد ، ويمكن تحديد هذه المراحل على النحو التالي :

الأولى : مرحلة تكوين الجنين .

(أ)- اختيار الزوجين .

هي مرحلة التهيئة لتكوين سليم ، وهي مرحلة ما قبل الزواج التي يتم فيها اختيار الزوج للزوجه والزوجة للزوج ، والأساس الأول للاختيار في الحالين هو التمسك بمنهج الله ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : " لا تنكحو النساء لحسنهن ،فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لاموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين افضل " (رواه ابن ماجه).

والتمسك بمنهج الله يؤسس لحياة مبرأة من العيوب . فمن يتبع منهج الله سوف يتقي الله في معاملته للطرف الآخر ، وفي تربية أولاده وفي التعاون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي البعد عن المحرمات مثل شرب المسكرات وتبديد المال والتحيز لبعض الأولاد ، إلى غير ذلك من دروب التمسك بالعمل وفق منهج الله،والبعد عن جميع ما يحيد عنه . وأسرة هذا شأنها تكون منبتا حسنا للأولاد.

إضافة إلى ماتقدم،فإن العلم الحديث يضيف كل يوم جديدا لأثر الوراثه التي يورثها الآباء والأجداد للأولاد من حيث الخصائص الجسمية أو الأمراض ، ومن مكونات الشخصية. وهذا يوضح توجيه الله للمسلمين إلى دقة الاختيار ، والاختيار من ذوى الدين لما لذلك من أثر في نقاء الجسم والعقل والنفس من الادران والبوائق،وتحذير المسلمين من الوقوع من شراك جمال المرأة المغلفة عند اختيار الزوجه ، قال رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام :

" اياكم وخضراء الدمن ، قيل وما خضراء الدمن يارسول الله ، قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء " . (كشف الخلفاء للعجلوني).

(ب)مرحلة الحمل : وقد خصص الاسلام للحامل فيها حقوقا كى تستطيع أن ترعى الطفل الرعاية المناسبة ولاتعرضه لنقص فى تكوينه من جراء نقص فى تغذيتها ، ولا تعرضه لانفعالات حادة نتيجة لتوتر نفسى تتعرض له . فبالاضافة إلى أن حق الزوجة على زوجها فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن وحسن المعاشرة وغيرها حق مقرر فى الإسلام ، نجده يؤكد على وقاية الأسرة من الأوقات التى قد ينشأ فيها خلافات بين الزوجين حين تثار الخواطر، وقد يسبق الانفعال الحكمة . هنا يرسم الإسلام الطريق للحفاظ على كيان الأسرة بتحكيم الأهل من الجانبين عسى أن يصلحوا من شأنهما . قال تعالى :

(وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ، إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما). (النساء : ٣٥).

ونجده يخص المرأة الحامل بعناية خاصة حفاظا على حملها . قال تعالى :

(وإن كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن).

(الطلاق : ٦).

<u>الثانية</u> : مرحلة الرضاعة (٠ — ٢) :

وتمتد من لحظة الولادة الى أن يتم الطفل سنتين كاملتين من العمر . ويؤكد الإسلام ضرورة اعطاء الأمهات أجورهن عن الرضاعة ، كما يؤكد على ضرورة إيجاد مرضعة أخرى للطفل اذا لم ترضعه أمه . قال تعالى :

(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لاتكلف نفس إلا وسعها لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ، وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلاجناح عليكم إذا سلمتم ماآتيتم بالمعروف ، واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير). (البقرة : ٢٣٣).

كما قال تعالى :

(فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف ، وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى)

(الطلاق : ٦).

ومن عناية المسلم بالطفل فى مرحلتى الحمل والرضاعة أنه رخص للحامل والمرضع الإفطار فى الصوم إلى أن يطيقاه . كما وجه رسول الإسلام بتأجيل الحد عن الحامل ومن تكفل وليدها فى قوله صل الله عليه وسلم : " اذا قتلت المرأة عمدا لم تقتل حتى تضع ما فى بطنها ، وحتى تكفل ولدها ". (سنن ابن ماجه)

وقد وجه الرسول الأمين بالاحسان إلى المرأة الحامل حتى لوكان عليهما حد :
أتت امرأة الرسول وهي حبلى من الزنى فقالت يانبي الله ، اصبت حدا فأقمه على ، فدعا النبي وليها فقال له : أحسن اليها فإذا وضعت فأتني بها .

(صحيح مسلم) .

ومما يوضح حكمة تاكيد الاسلام على ضرورة ارضاع الطفل ما يتنادى به الأطباء في عصرنا هذا أن الرضاعة الطبيعية للطفل وجاء له من الكثير من الأمراض ، وأفضل له من حيث نموه مما سواها .

المرحلة الثالثه : الطفولة (٢ ـ ٧) :

ويدرك المتخصصون في التربية وعلم النفس خطورة هذه المرحلة على تكوين القيم والاتجاهات والميول عند الأطفال ففي هذه المرحلة يتكون لدى الطفل المفاهيم الأساسية للدين والحياة والمعرفة . وفي هذه المرحلة يكون دور الأسرة خطيرا فهي التي يمكن أن توجه الطفل الى اليهودية أو المسيحية أو المجوسية أو تتركه على فطرة التوحيد ، وهي التي توفر المناخ المناسب لنمو الطفل الجسمي والعقلي والاجتماعي أو يكون المناخ غيرهذا كله وقد جاء في الاثر عن أطفال هذه المرحلة "لاعبوهم لسبع" أي ينبغي أن يتاح للطفل جو من المرح وأن يكتسب المعرفة والسلوك من خلال اللعب المحبب إليه وفي مناخ من الحنو والعطف .

وقد ضرب الرسول عليه الصلاة والسلام لنا أمثلة كثير لهذا الحنو نذكر منها فيما روى عنه أنه ذهب يوما الى المسجد وهو يحمل أمامة بنت أبي العاص فصلى فاذا ركع وضعها واذا رفع رفعها . (فتح الباري بشرح البخاري) .

المرحلة الرابعة : مرحلة التمييز (٧ ـ ١٤) .

وجاء أيضا في الأثر بعد أن تخصص السبع سنوات الأولى من عمر الطفل للعب واكتساب الخبرات من خلاله ، أن يركز على التعليم في السبع سنوات التالية .
ولا شك أن هذا التحديد لا يعني أن التعليم قاصر على هذه المرحلة ، ولكن المقصود هنا أن النمو الجسمي قد زاد عن المرحلة السابقة وان النضج العقلي أصبح مهيأ لعملية تعلم مقصودة وان النمو النفسي أصبح أكثر استقرارا بحيث يسمح بتحمل التوجيهات والأوامر والنواهي دون أن يولد انفعالات حادة نسبيا كما كان سابقا .

ففي السابعة يؤمر الصبي بالصلاة ، فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله بالنسبة لتكليف الصبية بالصلاة :

" مروا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع " .
(رواه احمد وأبو داود)

وغنى عن القول أن ترغيب الصبي في الصلاة وعليمه كيفية أدائها يسبق قيامه بواجبها وهنا مؤشر إلى عملية التعليم تسبق سن السابعة ، ولكنها تصبح واجبة فى هذا السن ، وأنه فى سن العاشرة يمكن أن يحاسب الطفل عن أفعاله لأنه قد أصبح فى درجة من النضج بما يؤهله للتمييز •

وفى هذه المرحلة قد يبتدئ الطفل في النضج الجنسي قد يبدأ فى المراهقة فتبدأ القدرة على الأبوة فى الظهور عند الولد وتبدأ البنت في الاقتراب من القدرة على الامومة وجه الرسول عليه الصلاة والسلام الى الفصل بين الصبى والفتاة فى المضاجع •

المرحلة الخامسة : مرحلة : البلوغ : (١٥ — ٢١)م٠

هذه المرحلة قد تبدأ قبل الرابع عشر ، فقد تبدأ مرحلة البلوغ فى الحادية عشرة بالنسبة للذكور ، وقد تبدأ قبل ذلك بالنسبة للفتيات ، وقد تتأخر عن الخامس عشرة • وعلى كل حال فان ظهور علامات البلوغ هى المؤشر الحقيقى لبداية مرحلة البلوغ وهذه هى بداية الاحتلام عند الذكر والحيض عند الانثى وفيها يأخذ الذكر شكل الرجال وتأخذ الأنثى شكل الإناث •

ولقد أورد الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه الأحوال الشخصية أن الشرائع مختلفة فى تقدير هذا الزمن (زمن الأهلية) ، فمنها ما جعله أثنتى عشرة سنة للأنثى وأربع عشرة سنة للذكر كما فعل الرومان فى البداية منذ كانت الأمة فى نشأتها الأولى ساذجة الأخلاق قليلة العدد، أيام كانت المراقبة شديدة فى تربية الأولاد ، والروابط العائلية قوية وكافية لحمايتهم وتدارك ماقد يفرط منهم أعمال استفحال الضرر ، فلم يكن من باعث يحمل الشارع على الإبطاء بمنح الأهلية الكاملة والولد محوط بهذه العنايات كلها ، فلما ازدحم المجتمع وكثر المال ، وتنوعت الرغبات والمطالب وتشعبت أعمال الإنسان ، وامتدت أطماع الانسان وامتدت اطماعه الى أبعد من داره وعشيرته ورهن رباط العائلة بضغط تلك المؤثرات ، ظهرت مضار التعجيل باقرار الأهلية مما اضطر بعض رجال الفقه الى تأجيله زمانا فجعله خمسا وعشرين ، ومن الأقوال ماوقفت عند الحادية والعشرين ، ومنها ما اقتصر على تسع عشرة •[1]

---

(١) محمد بن احمد الصالح، الطفل فى الشريعة الاسلامية (ص ١٦٠) ٠٠

ومما يشجع على اختيارنا للحدود التى ذكرناها هنا لهذه المرحلة قول ابن عمر وفى روايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين قال : " أنه لما عرض على رسول الله وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه ثم عرض يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة أجازه " . (البخاري) .

وقد وجه الرسول إلى أبناء هذه المرحلة بخاصة وأبناء المراحل التالية بعامة قوله :

" يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء " . (صحيح مسلم) .

هذا، وإن فقهاء المسلمين ينظرون الى الرشد الذى يوجب دفع مال القاصر اليه نظرة تقديرية، ويتركون أمر التقدير الى القضاء ونتيجة الاختبار بعد البلوغ، ومتى رأى القاضى عدم ثبوت الرشد استمر الحجر ولم ترتفع الولاية غير أن الامام أبا حنيفة، رحمه الله يذهب إلى ان الحجر يرتفع فى سن الخامسة والعشرين وإن لم يزل سفهها .(١)

هذه المرحلة هى مرحلة بلوغ الأشد ، قال تعالى :

(ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده) . (الأنعام : ١٥٢) .

وهى المرحلة التى يبلغ فيها الفرد النضج الجسمى بحيث يكون قادرا على تكوين أسرة :

(وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح، فان آنستم منهم رشدا، فادفعوا اليهم أموالهم) . (النساء : ٦) .

ويقول الله تبارك وتعالى :

ونظرا للنمو السريع فى هذه المرحلة ونظرا للحساسية الانفعالية، فيها ، وتناقض تصرفات أبنائها بين الطفولة والرجولة وخاصة فى بدايتها فان توجيه هؤلاء ينبغى أن يتم بصورة مقبولة لديهم، كما أن للأصدقاء أثرا كبيرا عليهم . ولقد حذر رسول الاسلام من أثر قرناء السوء فى قوله صلى الله عليه وسلم :

" أبناك وقرين السوء " . (كشف الخفاء) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

" المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل " . (المستدرك على الصحيحين) .

المرحلة السادسة : مرحلة الشباب (٢٢ - ٤٠) :

فى هذه المرحلة يتم نضج الفرد الجسمى والعقلى والنفسى ، ويكون عطاؤه فى ذروته من حيث القوة البدنية ومن حيث القدرة على التفكير ومن حيث الاستقرار الانفعالى

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

ولقد ورد في الأثـــر أن يترك الآبـــاء لأبنائهـم الحبـــل على الغارب بعد بلوغهم الإحدى والعشرين سـنة من العمر . وذلك نظرا لأنها مرحلـــة استقرار وتمثل القيم والمعتقدات ، وتحديد نظرة الانســان للكون والحياة والمعرفة .

ويأتي بعد ذلك مرحلة النضـج ونقدرها بين الســنوات (٤١ ــ ٦٠) على وجه التقريب وهذه هي المرحلة التي تلقى محمد صلى الله عليه وسلم الرسالة في بدايتها . وتتلو مرحلـــة الشـيخوخـة هذه المرحلة ، وتأتي فيما بعد الســتين . وقد اشـار الحق تبارك وتعالى الـى هذه المرحلـة في قولـه تعالــى :

(هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشـدكم ثـم لتكونـوا شـيوخا ومنكـم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسـمى ولعلكم تعقلـــون)

وقال تعالـــى : (غافــر : ٦٧) .

(ومن نعمره ننكســه في الخلق أفلا يعقلون) . (يس : ٦٨) .

وقال تعالى :

(والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لايعلم بعد علم شيئا، ان الله عليم قـديـــر) . (النحـل : ٧٠) .

والظاهر أنها ليست مرحلة طبيعية يصل اليها الانســـان أن يبلـــغ ســنا معينة . قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بعد أن نقل ماروى عن علي رضي اللـه عنه (أرذل العمر خمس وسـبعون) وعن قتادة (تسـعون سـنه) ، قال : والظاهر أنه لاتحديد له بالسـنين وانما هو باعتبار تفاوت حال الاشـخاص . فقد يكون ابن خمس وسبعين سنة أضعف بدنا وعقلا وأشـد خرفا من ابن التسعين سنة. (١)

وقد استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم من مرحلة أرذل العمر هذه . روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعـو :

" أعوذ بالله من البخل والكسـل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممـات "

(الجامع الصحيح للإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري كتـــاب التفســير) .

---

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن عالم الكتب ، بيروت ، ج ٣ ، (ص ٣١٣) .

مما سبق يتضح أن الانسان يمر في مراحل نمو تختلف كل واحدة عن الأخرى من حيث نموه الجسمي والعقلي والنفسي ، ومن حيث قدرته على الوفاء بوظيفته التي كلف بها وهي تتعلق بعبادة الله وعمارة الأرض . وقد أعانه الله على إنجاز هذه الوظيفة بما أودعه في طبيعته من فطرة سليمه وقدرة على التعلم والاختيار وتكريم على كثير من خلق الله وبما وفره له من علم لاينضب وقدرات متجددة ومنهج صالح لكل زمان ومكان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .،

أ . د . محمود أحمد شـــوق

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عضو لجنة التأصيل الاسلامي للعلوم
جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية

المراجع الأساسية

أ - القرآن الكريم
ب - صفوة التفاسير المجلد الثالث .
د - مختصر تفسير الطبري.
هـ - تفسير ابن كثير المجلد الثاني .

١ - ابراهيم ، عبد اللطيف فؤاد ، المناهج ، أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها - القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٦٧ .

٢ - الأبراشي ، التربيه الإسلامية وفلسفاتها (ط ٣) القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٧٦ .

٣ - البنا ، عايده عبد العظيم ، الإسلام والتربيه الصحيه (ط ١) الرياض : مكتب التربيه العربية لدول الخليج ، ١٤٠٤هـ.

٤ - إبن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٣ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٨٠هـ.

٥ - الجوزية ، ابن القيم (تحقيق عادل أبو العباس) ، الروح ،القاهرة : مكتبة القرآن للطبع والنشر ، بدون تاريخ .

٦ - مجاور، محمد صلاح الدين ، وفتحي الديب ، المنهج المدرسي وتطبيقاته التربوية (ط ٥) ، الكويت دار القلم ، ١٤٠١ هـ.

٧ - محمود ، مصطفى ، الروح والجسد ، (ط١) بيروت : دار الكتاب العربي ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧م.

٨ - الندوة العالمية للشباب الاسلامي ، الاسلام والحضارة ودور الشباب المسلم ، المجلد الأول ، ط ٢ : الرياض : الندوة العالمية للشباب الاسلامي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٩ - الندوي ، أبو الحسن ، التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الاسلامية ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧هـ.

١٠ - عبد العظيم، عايدة ، الإسلام والتربية الصحية (ط ١) الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٤هـ

١١ - عميرة ، عبد الرحمن (التربية الاسلامية وأثرها في المجتمع) الاجتهاد في الشريعة الاسلاميه وبحوث أخرى - الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م.

١٢ - عطار ، ليلى عبد الرشيد ، الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية ، (ط ١) جدة : تهامة للنشر ، ١٤٠٣ هـ.

١٣ - صالح ، محمد بن أحمد ، الطفل في الشريعة الاسلامية ، القاهرة : المؤلف ، ١٩٨٦ .

١٤ - سفر ، محمود،(دور الشباب المسلم) الإسلام والحضارة،المجلد الثاني،الطبعه الثانية - الرياض : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م.

١٥ - قطب ، سيد ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ط ٧ - القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١٦ - قطب ، محمد ، منهج التربية الاسلامية (ط ١) بيروت : دار الشروق ، دون تاريخ .

١٧ - رابطة الجامعات الاسلامية ، الإضطرابات النفسية عند الشباب ، بحوث وتوصيات ندوة تربية الشباب المسلم ودور الجامعات الاسلامية فيها الرياض : رابطة الجامعات الاسلامية - مكتب الرئيس ١٤٠٩هـ .

١٨ - رجب ، أبو فرج عبد الرحمن ، القواعد ، (ط ١) القاهرة : المطبعة السلفية ، ٦٢٠ هـ، ص : ٣٣٨ .

١٩ - عبد الرحمن، عائشة ، "العقل في عقيدتنا لب الإنسان ومناط الرشد والتكليف"، جريدة الأهرام ط ٢ العدد ٢٧٧٥٤ في ٢٠ / ٧ / ١٩٩٠ القاهرة مؤسسة الأهرام ، ١٩٩٠ م.

٢٠ - شديد ، محمد . منهج القرآن في التربية ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧ م.

٢١ - الشعراوي ، محمد متولي ، هذا هو الإسلام . القاهرة : دار الحرية للطباعة والنشر ١٣٩٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٢ - شلبي ، أحمد، مقارنة الأديان ، المسيحية ط ٨، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٤،

٢٣ - خليل ، محمد رشاد ، علم النفس العام والتربوي (دراسة مقارنة) الكويت : دار القلم ١٤٠٧ - ١٩٧٨ م.